وكل من عرف الله أحبه، وأخلص العبادة له ولابُدَّ، ولم يؤثّر عليه شيئًا من المحبوبات.

فمن آثر شيئًا من المحبوبات فقلبه مريض.

كما أنَّ المعدة إذا اعتادت أكل الخبيث وآثرته على الطّيّب سقط عنها شهوة الطّيّب، وتعوضه بمحبة غيره.

الإحساس بمرض القلب:

وقد يمرض القلب ويشتد مرضه، ولا يعرف به صاحبه؛ لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك:

أنه لا تؤلمه جراح القبائح.

ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة.

فإنّ القلب إذا كان فيه حياة تألّم بورود القبيح عليه، وتألّم بجهله بالحق بحسب حياته.

وما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

لابُدَّ من الصّبر على الدّواء:

وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها؛ فهو يؤثر بقاء ألمه علىٰ مشقة الدواء، فإنّ دواءه في مخالفة الهوىٰ، وذلك أصعب شيء على النفس، وليس لها أنفع منه.

وتارة يوطن نفسه علىٰ الصّبر، ثُمَّ ينفسخ عزمه، ولا يستمرّ معه لضعف علمه وبصيرته وصبره: كمن دخل في طريق مخوف وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلىٰ قوة صبره، وقوّة يقين ما يصير إليه، ومتىٰ ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق، ولم يتحمل مشقتها، ولا سيما أنْ عدم الرفيق واستوحش من الوحدة، وجعل يقول: أين ذهب الناس؟. فلي أسوة بهم.

وهذا حال أكثر الخلق، وهي الّتي أهلكتهم.

علامات أمراض القلب:

والمقصود: أنّ علامات أمراض القلوب:

عدولها عن الأغذية النافعة الموافقة لها إلىٰ الأغذية الضارة، وعدولها عن دوائها النّافع إلىٰ دائها الضّار.

فمنها أربعة أمور:

- غذاء نافع.
- ودواء شاف.
- وغذاء ضار.
- ودواء مهلك.

علامات صحة القلب:

والقلب الصحيح: يؤثر النافع الشافي علىٰ الضّار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك.

وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن. وكل منها فيه الغذاء والدواء.

ومن علامات صحّته - أيضًا -: أن يرتحل عن الدنيا حتىٰ ينزل بالآخرة[١]، ويحل فيه، حتىٰ يبقىٰ كأنه من أهلها وأبنائها، وقد جاء هذه الدار غريبًا يأخذ منها حاجته، ويعود إلىٰ وطنه، كما قال النّبيُّ - ﷺ - لعبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: «**كُنْ في الدُّنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسك من أهل القبور**»[٢].

فحيَّ علىٰ جنات عدنٍ فإنها
منازلك الأولىٰ وفيها المُخَيَّمُ
ولكننا سَبْيُ العدو، فهل ترىٰ
نعودُ إلىٰ أوطاننا ونسلم؟

وقال عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -: إنّ الدُّنيا قد

---

(١) وكم من النّاس قد ارتحل عن الآخرة بالدُّنيا، وانهمك في لذّاتها وشهواتها، فأمرض قلبه بالبعد عن دين الله وبالانغماس في المتاع القليل الفاني.. «الدُّنيا»، وقد بيّنت هذا في رسالة «الدُّنيا أهلكتني».

(٢) أخرجه البخاريّ (٦٤١٦)، والفقرة الأخيرة عند الترمذي (٢٣٣٣).

ترحلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدُّنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

كلما صحّ القلب من مرضه ترحل إلىٰ الآخرة وقرب منها، حتىٰ يصير من أهلها، وكُلَّما مرض القلب واعتلّ آثر الدُّنيا واستوطنها، حتَّىٰ يصير من أهلها.

ومن علامات صحّة القلب: أنّه لا يزال يضرب علىٰ صاحبه حتَّىٰ يُنيب إلىٰ الله – تعالىٰ – ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلىٰ محبوبه، الّذي لا حياة له، ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلاّ برضاه وقربه والأنس به، فبه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإيّاه يرجو، وله يخاف.

فذكره قوته، وغذاؤه ومحبته، والشوق إليه حياته

ونعيمه ولذته وسروره، والالتفاف إلىٰ غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه.

❁ فإذا حصل له ربه سكن إليه واطمأن به، وزال ذلك الاضطراب والقلق، وانسدت تلك الفاقة.

❁ فإنّ في القلب فاقة لا يسدها شيء سوىٰ الله أبداً.

❁ وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه.

❁ وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له،وعبادته وحده.

فهو دائماً يضرب علىٰ صاحبه حتىٰ يسكن ويطمئن إلىٰ إلهه ومعبوده، فحينئذٍ يُباشر روح الحياة، ويذوق طعمها، ويصير له حياة أخرىٰ غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر الّذي له خُلِقَ الخلق، ولأجله خُلقت الجنة والنار، وله أُرسلت الرسل ونزلت الكتب، ولو لم يكن جزاء إلاّ نفس وجوده لكفىٰ به جزاء، وكفىٰ بفوته حسرة وعقوبة، كما قيل:

وَمَنْ صَدَّ عَنَّا حَظُّهُ الْبُعْدُ وَالقِلَىٰ
وَمَنْ فُتُّهُ يَكْفِيهِ أَنِّي أَفُوتُهُ

قال بعض العارفين: مساكين أهل الدُّنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب ما فيها؟ ، قال: محبة الله والأنس به والشوق إلىٰ لقائه، والتَّنَعُّمُ بذكره وطاعته.

وقال آخر: إنه ليمُرُّ بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: والله ما طابت الدنيا إلاّ بمحبته وطاعته، ولا الجنة إلاّ برؤيته ومشاهدته.

وقال أبو الحسين الورّاق: حياة القلب في ذكر الحي الّذي لا يموت، والعيش الهني: الحياة مع الله - تعالىٰ - لا غير.

ولهذا كان الفوت عند العارفين بالله أشد عليهم من

الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق، فكم بين الانقطاعين؟.

وقال آخر: من قرّت عينه بالله - تعالىٰ - قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تقطع قلبه علىٰ الدنيا حسرات.

وقال يحيىٰ بن معاذ: من سر بخدمة الله سُرّت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرّت عينه بالله قرّت عيون كل أحد بالنظر إليه.

ومن علامات صحة القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره؛ إلاّ بمن يدله عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر.

ومن علامات صحة القلب: أنّه إذا فاته ورده وجدَ لفواتها ألمًا أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

ومن علامات صحة القلب: أنّه يشتاق إلىٰ الخدمة، كما يشتاق الجائع إلىٰ الطّعام والشراب.

ومنْ علامات صحة القلب: أنه إذا دخل في الصّلاة ذهب عنه همّه وغمه بالدنيا، واشتدّ عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقرة عينه وسرور قلبه.

ومنْ علامات صحة القلب: أن يكون همّه واحداً، وأن يكون في الله.

ومنْ علامات صحة القلب: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعاً من أشدّ الناس شحاً بماله ومنعاً.

ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص علىٰ الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك مِنَّة الله فيه وتقصيره في حق الله.

فهذه ست مشاهد لا يشهدها إلاّ القلب الحي السّليم.

خلاصة القول في القلب الصحيح:

وبالجُملة فالقلب الصّحيح: هو الّذي هَمُّه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهىٰ إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم علىٰ مراضيه ومحابِّه.